نظرة الإسلام إلى الجنس

● يلاحَظ فى المجتمعات المتحضرة والمتخلفة التهافت على قضايا الجنس وما يتبعها من مفاسد ورذائل .. فما هو العلاج الحاسم لهذا الفساد الجنسى ؟

● ● بعض الأديان ينظر إلى الجنس على أنه نجس أو قذر ، ينبغى أن يتنزه عنه الصالحون والصدِّيقون ، وأن الحياة المثالية للمتدين هى حياة الرهبانية .

وفى مقابل هؤلاء نجد الحضارة الغربية الحديثة التى أطلقت العنان للغرائز الجنسية ، حتى غدا الناس فى ظلها يكادون يتسافدون فى الطرقات .

وقد كانوا يزعمون فى أول الأمر أنهم إذا أطلقوا الحرية الجنسية ، يحلون عقد الكبت والحرمان ، ويعيشون حياة الاستمتاع بلا خوف ولا خجل .. ولكنهم مع كل ما صنعوا لم تنته مشكلاتهم بل زادت تعقيداً ، ولم يحدث الرى المتوقع ، بل ازداد العطش والتكالب ، وغدت الفتاة الجميلة مجالاً للصراع إلى حد الاقتتال عليها ، والمحرومة من الجمال تضطر لتلقى بنفسها فى أقذر المواقع ، وانتشرت الأمراض الجنسية التى تهدد بأوخم العواقب مثل « الإيدز » الذى يفقد الجسم المناعة ويُعرِّضه لأخطر الأدواء .

ولا غرو أن قال أحد الكُتَّاب الأمريكيين : « إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون فى نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذَرِّية » .

ويُنبِّه المؤرخ الشهير أرنولد توينبى إلى أن شيوع الجنس وسيطرة الغرائز الجنسية يمكن أن تؤدى إلى تدهور الحضارات .

وهذا ما حذَّر منه الإسلام أشد التحذير ، وخصوصاً من الاختلال الاقتصادى ، والانحلال الجنسى كما فى حديث : « ما ظهر الزنا والربا فى قرية إلا حَلَّ بها عذاب اللّه » .

وحديث : « ما ظهرت الفاحشة فى قوم حتى يُعمل بها فيهم علانية إلا سلّط اللّه عليهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم » .

وموقف الإسلام من الجنس فى غاية الحكمة والاعتدال ، فهو لا يرفض الجنس ولا يستقذره ، ولكن يوجهه الوجهة النافعة للفرد والمجتمع . وذلك عن طريق الزواج المشروع الذى يربط بين رجل وامرأة برباط مقدّس ، به تتكوّن الأسرة الصالحة التى هى نواة المجتمع الصالح . وفى هذه الحالة من حق الزوجين أن يستمتع كلاهما بالآخر ، حتى إن الإسلام ليعتبر ذلك عبادة وصدقة : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (١) .. وفى الحديث الصحيح : « وفى بُضْعِ أحدكم صدقة » ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟! قال : « أليس إذا وضعها فى حرام كان عليه وزر » ؟ قالوا : بلى ، قال : « كذلك إذا وضعها فى حلال كان له أجر . أتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير » ؟؟! . والإسلام يُيَسِّر الزواج ويُعين عليه ، ويُزيل العوائق من طريقه ، ويُرغِّب فى يُسر المهر ، وتسهيل كل صعب .

كما يجتهد فى سد طريق الحرام ، عن طريق تطهير المجتمع من أسباب الفساد والإغراء ، مثل التبرج والاختلاط المتحلل ، والصور المثيرة ، والقصص الخليعة ، والأغانى الماثعة ، وغير ذلك . كما يُعاقب كل مَن يجاهر بتعدى حدود الله ، ويرتكب الفاحشة علانية ، أو يُروِّج لها بصورة من الصور .

وقبل ذلك يُربَى المسلم والمسلمة على الطهارة والعفة والإحصان ، وخشية الله تعالى ومراقبته ، التى تجعله يرفض الحرام وإن فُتِحَ له إليه ألف باب وباب ، قائلاً : إنى أخافُ اللهَ رب العالمين . حتى يكون من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

* *

(١) البقرة : ١٨٧

● نلاحظ أن بعض علماء المسلمين قديماً وحديثاً يبتعدون عن المشاركة فى أعمال الدولة ... على ماذا يدل ذلك ؟

● ● الإسلام لا يفصل بين الدين والسياسة ، كما تفعل أديان أخرى ، ولا يرى أن شطر الحياة لقيصر ، والشطر الآخر للّه . بل يرى أن قيصر وما لقيصر للّه الواحد الأحد .. ولذا لا يقبل قسمة الحياة كما لا يقبل قسمة الإنسان . وليس من مفاهيم الإسلام ولا أحكامه أن تكون هناك سُلطتان مستقلتان . إحداهما : روحية تختص بشئون الدين ، والأخرى : زمنية تختص بأمور السياسة .. وإنما سُلطة واحدة وكيلة عن الأمة ومنفذة لشرع اللّه الذى يشمل الدين والدنيا معاً .

ولا يقبل الإسلام أن يكون ديناً لا سياسة فيه ، كما لا يرضى سياسة لا دين لها . ولا يجوز فى نظر الإسلام أن يكون أهل السياسة جاهلين بالدين أو منحرفين عنه . كما لا يجوز لأهل الدين أن يكونوا جاهلين بسياسة أمتهم وقضايا أوطانهم ، ومَن لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم . وواجب النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم التى هى الدين كله كما فى الحديث الصحيح . وواجب التواصى النجاة من خسران الدنيا والآخرة وواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الذى هو أساس خيرية هذه الأمة ... كل هذا يقتضى من المسلم ألا يعيش فى صومعة منعزلاً عن آلام أمته ومعاناتها ، متلذذاً بعباداته أو قراءاته دون مشاركة فيما يوجبه انتماؤه إليها ، وولاؤه لها : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (١) .

ومع هذا لا يزال هناك مسلمون متدينون يرون أن حسبهم من الدين أن يقيموا شعائر العبادات الشخصية ، ولا يهمهم تحررت أرض الإسلام أم لم تحرر ،

---

(١) التوبة : ٧١

حكمت شريعة الإسلام أم لم تحكم ، عَزَّ المسلمون أم ذلوا ، اتحدوا أم تمزقوا ، قامت خلافة الإسلام أم هدمت .. ولا ريب أن هذا كله من سوء الفهم لرسالة الإسلام ، وشمولها لكل جوانب الحياة ، وهو فهم متأثر بمعنى الدين فى النصرانية وغيرها .

كما أن هناك أسباباً أخرى جعلت بعض المسلمين الفاهمين لشمول الإسلام ، والذين عملوا لقضاياه العامة يعزفون فى بعض الأحيان عن العمل السياسى . من ذلك : أن السياسة تقوم فى الغالب على المناورة واللُّف والدوران ، وطبيعة التدين تأبى إلا الصراحة والصدق والخط المستقيم ، ولهذا يجد المتدين نفسه غريباً فى دنيا السياسة وتياراتها وألاعيبها ، ولا يتقن أن يحاربهم بمثل ما يحاربونه به فيلوذ بالفرار ناجياً بنفسه . وناحية أخرى : إن معظم البلاد الإسلامية يغيب فيها معنى الشورى أو الديمقراطية ، وتُحكم الشعوب فيها بغير إرادتها . ولا يؤتى العمل السياسى فيها ثمرته لعوامل داخلية وخارجية . ولهذا تُجهض كل المحاولات التى تعمل لتغيير الأوضاع العوج ، إلى أوضاع إسلامية مستقيمة .

وطالما رأى الناس حركات إسلامية كبرى عملت وجاهدت وقدَّمت تضحيات جمة ، ولم تصل فى النهاية إلى ما تريد من الإصلاح والتغيير ، برغم ما دفعت من ثمن باهظ . ولعل هذا ما جعل المصلحين الإسلاميين فى خاتمة مطافهم يعودون إلى حقل التربية والتثقيف والتوجيه ، والبداية من أول السلم من إصلاح الفرد ، الذى هو أساس إصلاح المجتمع ، وترك السياسة بما فيها من مهازل ومآس تُضحك وتُبكى ، ولعل هذا سر ما روى عن الأستاذ الإمام محمد عبده من قوله : أعوذُ باللّه من السياسة ، ومن ساس ويسوس ، وسائس ومسوس !

ورأيى أن الواجب على أهل الدين ألا يدعوا أمور السياسة للعلمانيين والماركسيين وغيرهم . ممن يكرهون الإسلام ، أو يجهلونه ، أو لا يهمهم أمره . والحق أن أمر السياسة من الخطورة بحيث لا ينبغى أن يُترك لهؤلاء وحدهم وهم

الذين بيدهم توجيه أزِمّة التعليم والإعلام والثقافة والتشريع وسائر نواحى الحياة التى تضع للناس مفاهيمهم ومشاعرهم وتقاليدهم وأنظمتهم جميعاً .

ولن ترقى شعوبنا إلى مصاف الأمم المتحضرة إلا إذا شاركت جماهيرنا فى سياسة أوطانها ولم تدع أمورها لحفنة من الناس - عسكريين أو مدنيين - يلعبون بمصايرها كما يشاءون وهى بمعزل عما يجرى ، كما قال الشاعر عن « تيّم » :

ويُقضى الأمر حين تغيب تيّم ولا يُستأذنـــون وهـــم شهود !

* *

الدجّال والحضارة الحديثة

● هناك مَن يقول إن الحضارة الصناعية الفنية الحديثة هى الدجّال الذى ورد ذكره فى أحاديث الرسول الكريم مُحذِّراً أُمته منه .. ما تعليق فضيلتكم على هذا القول ؟

● ● الحضارة الصناعية الغربية الحديثة لها مزايا كثيرة لا ينكرها إلا مُكابر . فقد قامت على مجموعة من القِيَم الاجتماعية المهمة مثل : إتقان العمل ، والنظام والتعاون ، وحُسن الإدارة واحترام العِلم القائم على الملاحظة والتجربة . وقد سهّلت للإنسان الاستفادة من العِلم عن طريق التكنولوجيا الهائلة التى شهدها عصرنا ، وبذلك اختصرت الزمن ، وطوت المسافات ، وقرّبت بين أطراف العالَم ، حتى أصبح العالَم الكبير كأنه قرية واحدة .

واستطاعت هذه الحضارة أن توفر المجهود البدنى للإنسان عن طريق الآلة ، ثم فى رحلتها الثانية استطاعت أن توفر مجهوده الذهنى عن طريق هذا الجهاز العجيب « الكومبيوتر » .

ولكن هذه الحضارة ينقصها جانب مهم ، لم تلتفت كثيراً إليه ، وهو الجانب الربّانى أو الروحى فى حياة الإنسان . إنها عنيت بالجانب المادى ، وأغفلت

جانب الروح ، وبهذا عمرت الأرض ، وخرّبت الإنسان ، هيأت له وسائل الرفاهية والمتعة ولم تهيئ له أسباب السكينة والطمأنينة لأن مصدر هذه هو الإيمان . وهذا لا يعنيها لأن أكبر همها محصور فى تحسين الوسائل والأدوات ، وليس فى تحقيق المقاصد والغايات ! ولهذا كانت حضارة مبتورة ناقصة بحكم نشأتها وظروفها التاريخية ، حيث كانت الكنيسة الغربية التى تمثل الدين هناك قد وقفت عائقاً فى سبيل التقدم والتحرر والإبداع .

وقفت مع الجهل ضد العلم ، ومع الجمود ضد التطور ، ومع العبودية ضد التحرر ، ومع الملوك ضد الشعوب .. فثارت عليها الجماهير قائلة : اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس !

ومن هنا كانت هذه الحضارة جديرة أن توصف بأنها ليست حضارة المسيح ابن مريم ، وإنما هى حضارة المسيح الدجّال . فهو أعور ، وهى حضارة عوراء .

على معنى أنها تنظر إلى الحياة والإنسان والكون من ناحية واحدة ، وهى الناحية المادية ، وتنسى أن للكون إلٰهاً ، وأن للإنسان روحاً ، وأن للحياة غاية هى الإعداد لحياة أخرى هى خير وأبقى ، وليس معنى مثل هذا الكلام أن هذا هو التفسير المراد من « المسيح الدجّال » الذى ورد فى الأحاديث النبوية الصحيحة وحذّر منه النبى ﷺ . وإنما هو من باب التفسير « الإشارى » والذى يذكره بعض علماء التفسير ، وهو غير التفسير الحقيقى المبيِّن للمراد بالنص .

فمن المعلوم الذى لا يخفى على دارس للحديث أن « الدجّال » الذى وردت به النصوص إنما هو شخص من البَشر ، يخرج على الناس مدعياً الألوهية ويملك من أساليب التأثير ما يُمكِّنه من إضلال بعض الناس ، وفتنتهم عن دينهم ، ولكن المؤمنين قد عرفوه قبل أن يوجد ، فلا تزيدهم خوارقه وألاعيبه إلا إيماناً مع إيمانهم ، ويقيناً بحقهم ، ولو نالوا فى سبيل ذلك الشهادة .

وليس من المنطق العلمى فى شئ أن نرد الأحاديث التى استفاضت وثبتت صحتها وتلقتها الأمة فى سائر عصورها بالقبول ، كما لا يجوز لنا أن نؤوِّلها تأويلاً يُبطل معناها ويُخرجها عن ظاهرها المتبادر للفهم بلا حُجَّة . كما هو شأن الباطنية الذين أهدروا رسالة اللغة حين فسَّروا ألفاظها بحسب أهوائهم ومعتقداتهم الخاصة لا بحسب دلالتها الوضعية ، فأفسدوا بذلك اللغة والدين جميعاً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *